الدكتور عمر النص

ماذا حدث للشيخ احمد البديري عندما كتب عن الباشا ...

مسرحية باربع لوحات

الاهداء

تهدى هذه المسرحيـــة الى روح الشيخ أحمد البديري الحلاق الدمشقي ، الذي شهد أحداث الشام خلال القرن الثامن عشر ، وترك لنا عنها صورة ساذجة مرعبة .

الاشخاص

أحمد البديري : حلاق
الشيخ شعبان : امام
موسى آغـــا : قائد العسكر
بكمـــاز : جندي

دبـــوس : جندي
رجـــال
جنـــود

زمان ومكـان المسرحية :
دمشق في عام ١٧٥٦

١ ـ في الطريق

زقاق في حي قديم ، يدخـل المنادي من جانب منه وهو يصيح ، في حين تدخل جماعة من الرجال من الجانب الآخر .

المنادي : يا أهل الشام
يا أهل الشام
السامع منكم يخبر من لم يسمع
والحاضر يخبر من غاب
أمر الباشا أن تغلق أبواب البلدة
لا تفتح الا بعد صلاة الفجر
أمر الباشا أن يلزم كل الناس منازلهم
لا يخرج انسان هذي الليلة
فسيجري التفتيش عن القمح ..
يا أهل الشام
من كان لديه عدل من قمح ..
أو سطل أو كوز ..
أو حتى حفنة قمح واحدة ..
فليأت بها الى دار الباشا
فالباشا قد أمر الافران بالا تفتح هذي الليلة
والموت لمن يعصي أمر الباشا
يا أهل الشام
يا أهل الشام
السامع منكم يخبر من لم يسمع
والحاضر يخبر من غاب ..

(يخرج المنادي)

رجل : هل سمعت ؟
رجل : لا حول ولا قوة الا بالله . مرة أخرى يفتش الباشا عن القمح . كاننا نملك المال الذي نشتري به القمح !
رجل : الامور تسير من سيىء الى أسوأ .
رجل : الم تسمع بما حدث لجارنا المغربي صباح اليوم ؟
رجل : وماذا حدث ؟
رجل : لم يكد يفتح دكانه في الدرويشية حتى هجمت عليه جماعة من عسكر الباشا ونهبت كل ما فيه .
رجل : يا خفي الالطاف نجنا مما نخاف .
رجل : الرأي عندي ان ننقل ما في الدكاكين ونضعه داخل البيوت .
رجل : نسأله تعالى الفرج القريب .
رجل : اتعلمون ؟ لقد قررت ان ارحل عن البلد .
رجل : ترحل عن البلد !! ولكن الى اين ؟
رجل : لا أدري ! لعل هنالك بلدا ليس فيه حاكم ظالم .
رجل : بلد ليس فيه حاكم ظالم ! ولكن اين يكون هذا البلد ؟
رجل : وكيف لي ان أعلم ؟

رجل : لماذا ؟ هل تخاف على نفسك من الباشا ؟
رجل : ومن منا لا يخاف ؟
رجل : أنا لا اخاف .
رجل : لعلك على صلة باحد قواد الباشا
رجل : واي ضير في هذا ؟
رجل : لا ضير على الاطلاق .
رجل : ماذا نستطيع أن نصنع من غير تلك الصلات ؟
رجل : نخدمهم فيخدموننا .
رجل : ندفع لهم فيدفعون عنا .
رجل : واذا لم نفعل ؟
رجل : نقبع في بيوتنا لا نكاد نخرج منها .
رجل : الهذا جئنا الى الحياة ؟!
رجل : وماذا تريدني ان افعل ؟ انا لا اريد ان اجازف برأسي
رجل : اذن فلا بد لك من انسان قوي يحمي لك هذا الراس .
رجل : شريطة أن يبقي هو على رأسي .
رجل : لكل شيء ثمن .
رجل : أتريدني ان ادفع ثمن حماية رأسي ؟
رجل : وهل في هذا شك ؟
رجل : وحماية أموالي ؟
رجل : لا بد من هذا ايضا .
رجل : القمح مثلا .
رجل : ولكن اين القمح ؟
رجل : في مخازن اصحاب الافران .
رجل : أو مخازن عسكر الباشا .
رجل : أو مخازن الباشا .
رجل : ألهذا يريد ان يفتش عنه الليلة ؟
رجل : يخاف أن ينخفض ثمنه اذا كثر بين الناس .
رجل : ألم تسمع ؟ لقد دفع اصحاب الافران الرشوة الى موسى آغا .
رجل : لو سمع الباشا بالامر لامر بقطع رأس الآغا .
رجل : غبي ! أتظن ان الباشا يجهل ما يحدث في المدينة ؟
رجل : او نزل الى الاسواق لادرك أي مصائب تحدث فيها .
رجل : ولكنه لا ينزل اليها الا ليستقبل فلانا ...
رجل : أو يودع علانا .
رجل : أو يصلي صلاة العيد مرتين كل عام .
رجل : لو نزل الى الاسواق لعرف هذا الغلاء الذي لم يقع مثله في قديم الزمان .
رجل : فرطل الخبز وصل الى سبع مصاري .
رجل : ورطل الكعك بخمس عشرة مصرية .
رجل : ورطل الرز بعشر مصاري .
رجل : وأوقية السمن بخمس مصاري .
رجل : وأوقية الجبن بثماني عشرة مصرية .
رجل : وأوقية القريشة بثلاث مصاري .
رجل : وموسى آغا يقبض البرطيل ويظلم الناس .
رجل : ألم تسمع المنادي يوم أمس ؟ لقد منع الآغا ان يباع الخبز باقل من أربع مصاري .
رجل : كل هذا ليرضي شيخ الطحانة .
رجل : عامله الله بما يستحق .
رجل : ولا أحد يرفع الصوت .
رجل : كل من يتحرك من الناس يربط بحبل طويل ويجر الى السجن .
رجل : الله تعالى يمهل ولا يهمل .
رجل : لماذا ؟ هل تظن الدنيا فالتة ؟
رجل : كأنك تعيش على أرض غير هذه الارض .

(يدخل أحد الرجال لاهثا)

الرجل: يا جماعة . يا جماعة .
رجل : ماذا حدث ؟
الرجل: اتبعوني يا جماعة . لقد نفد صبرنا . لقد احتملنا فوق ما يمكن أن يحتمل . أما الآن فلا بد من أن نفعل شيئا .
رجل : قل . ماذا حدث ؟
الرجل: لقد اعتدى بكماز على الشيخ شعبان .
رجل : بكماز زلمة الآغا ؟
الرجل: نعم .
رجل : وماذا فعل للشيخ شعبان ؟
الرجل: كان الشيخ شعبان يغادر الجامع الاموي بعد أن أمّ الناس الظهر . ولم يكد يخرج من باب الجامع حتى رأى بكماز يحاول سرقة امرأة عجوز كانت تعبر الطريق ، فنهره الشيخ شعبان وطلب اليه ان ينصرف ، ولكن بكماز تواقح على الشيخ ثم سحب عليه السلاح .
رجل : يا للعار . أيهان الشيخ شعبان امام الجامع الاموي ونظل ساكتين ؟
رجل : وماذا تريدنا أن نفعل ؟
رجل : يجب ان نجد مخرجا .. يجب أن نقتص من بكماز ...
رجل : لا تقل هذا ، فانت تعلم ان بكماز مجرم كبير .
رجل : ثم وراءه موسى آغا ، فهل تريد أن يغضب عليك الآغا ؟
رجل : ماذا نفعل اذن ؟
رجل : نقابل الآغا لنحتج على ما فعل بكماز بالشيخ شعبان .
رجل : وهل تراه يستمع الينا ؟
رجل : ستثور دمشق كلها من أجل الشيخ .
رجل : قد يرفض الآغا استقبالنا .
رجل : ثم اننا نريد رجلا يستطيع أن يتحدث باسمنا .
الرجل: هل وافقتم على الذهاب الى الآغا ؟
رجل : لا بد لنا من هذا .
رجل : اذا لم يكن هنالك من سبيل آخر ...
رجل : ولكننا لن نستطيع اقناع الآغا .
رجل : ينبغي لنا ان نجد رجلا يحسن التحدث باسمنا .
رجل : لم لا نطلب الى أحمد البديري أن يذهب معنا ؟
رجل : أحمد البديري ؟ أي والله ! انه رجل يتقن صنعة الكلام ..
رجل : ثم انه رجل تقي يحب صحبة الصالحين .
رجل : فلنذهب اليه اذن .
رجل : فلنذهب .

(يخرجون)

٢ ـ بيت أحمد البديري

غرفة صغيرة تربع في زاوية منها أحمد البديري وقد وضع مخدة على ركبتيه وعليها أوراق يكتب فيها .

أحمد البديري : ... وفي شهر رجب من هذه السنة وقعت فتنة بين طائفتين من عسكر الباشا فقتل من الفريقين جماعة . وكانت تلك الفتنة في يوم الجمعة حتى بطلت صلاة الجمعة في كثير من الجوامع .

وقد سمعت ان وراء تلك الفتنة موسى آغا الذي أشاع ان الباشا سوف يعزل آغة الانكشارية ، فقامت طائفة منهم وأخذت تعزل بيوتها . فقام بعض السفهاء فاخذوا في قتل من يجدونه منهم . وكان موسى آغا ظالما غشوما له جراة على عامة الناس وخاصتها ، فكان يأمر بالقبض على من يراه بعد العشاء ويأمر بتقييده في الحال بالحديد الى أن يأخذ منه مالا كبيرا .

وكان يجيء الواحد من أتباعه الى حبس السرايا

فيخرج من اراد من المحبوسين من غير اذن احد . هذا الى جراة على أعيان المدينة لم يسمع بها من قبل ، حتى صار هؤلاء يسمعون بآذانهم شتائم العسكر ويتحملون مكارههم ولا يسعهم الا السكوت .

وفي هذا الشهر صار في دمشق سيل عرمرم ما رؤي قط مثله من قديم الزمان ، وعقبه نزل برد كبير استقام نزوله مقدار ساعتين حتى علا على وجه الارض مقدار ذراع ونصف . كل هذا والغلاء مشتد في سائر الاشياء ولا سيما الماكولات . وقد اخذ البياعون يتصرفون على هواهم لتهاون الحكام في التفتيش ، حتى قامت العامة فهجمت على المحكمة ونهبت الافران .

وفي الثامن من هذا الشهر اغتيل رجل في الصالحية يعرف بالفستقي ، وكان سارقا شقيا ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل . وقد أعيا أهل الصالحية امره فجعلوا لشخص جعلا على قتله فاغتاله بعد ما عمل معه صحبة وقتله فراح وكانه ما كان .

وفي اليوم التالي توفي بقية السلف الصالح الشيخ عبد اللطيف المرادي ، وحضر الصلاة عليه والينا حاكم الشام أسعد باشا ، ودفن بمقبرة الدحداح رحمه الله تعالى .

(تدخل جماعة الرجال)

رجل : يا شيخ احمد .
احمد البديري : مرحبا بكم يا اخواني .
رجل : قم بنا يا شيخ احمد فاننا محتاجون الى لسانك اليوم .
احمد البديري : محتاجون الى لساني ؟ ولكن ماذا حدث ؟
رجل : سنذهب الى موسى آغا .
احمد البديري : الى أين ؟
رجل : الى موسى آغا . هل فهمت ؟
احمد البديري : لنحتج على غلق الافران ؟
رجل : بل لننتصر للشيخ شعبان .
احمد البديري : وماذا حدث للشيخ شعبان ؟
رجل : أهانه بكماز وسحب عليه السلاح .
احمد البديري : بكماز زلة الآغا ؟
رجل : نعم .
احمد البديري : يا له من سافل !
رجل : عامله الله بما يستحق !
احمد البديري : لو لم يجد سندا عند الآغا لما فعلها .
رجل : ماذا ترون اذن ، هل نشكوه الى الآغا .
رجل : تريثوا يا جماعة .
رجل : ما الفائدة ؟ سيجد الآغا له ألف عذر .
رجل : سنشكوه مع ذلك ، ليعلم الآغا اننا لن نسكت على مثل هذه الاعمال .
احمد البديري : لو لم تسكتوا على مثلها قبل الآن لما جرؤ بكماز على ارتكابها مرة أخرى .
رجل : هذا والله صحيح .
احمد البديري : فلماذا سكتم اذن ؟
رجل : الى الله نشكو ضعفنا وقلة حيلتنا يا شيخ احمد .
رجل : العين لا تقاوم المخرز .
رجل : الانكشارية هم الاسياد يا شيخ احمد .
رجل : ألم يسلمهم الباشا البلد عندما تيقن ان الامور لا تصلح الا بهم ؟
رجل : هل نسكت اذن كما كنا نفعل كل مرة ؟
رجل : كلا . بل لا بد من مقابلة الآغا !
رجل : لقد سكّرت الاسواق كلها منذ شاع نبأ الحادثة .
رجل : وبعد قليل سوف تسمع ضرب الرصاص .
أحمد البديري : ولكن لمَ لم تنتصروا للشيخ شعبان عندما وقعت الحادثة نفسها ؟
رجل : كنا خارجين من الصلاة فلم ندرك ما حدث ، ولكن حمزة أفندي شيخ شباب باب المصلى لحق ببكماز وهجم عليه بعصاه .
أحمد البديري : والآن ما العمل ؟ هل نذهب الى الآغا ؟
رجل : نعم . نعم .
أحمد البديري : فلنقم اذن !
رجل : هلموا بنا الى سرايا الآغا .
رجل : هيا بنا .

(يضع البديري الاوراق التي كان يكتب فيها في عبه ثم تخرج الجماعة كلها) .

٣ ـ سرايا الآغا

موسى آغا يتحدث الى الشيخ شعبان فيما وقف بكماز ودبوس وراء الآغا ووقفت جماعة من العسكر ترقب من بعد .

موسى آغا : كلا يا شيخ شعبان . لن يفلت بكماز من القصاص .
الشيخ شعبان : بارك الله فيك يا آغا . كاد ينقطع أملي في أن أنال حقي من ذلك المذنب الآثم .
موسى آغا : ولكنك تعلم ان بابي مفتوح لكل شكوى .
الشيخ شعبان : ولهذا جئتك شاكيا ، وخاصة ان ذلك المدعو بكماز رجل من رجالك يتطاول على الناس بدالته عليك .
موسى آغا : نعم . انه رجل من رجالي ، ولكنني لن أسمح له أن يسيء معاملة أحد .
الشيخ شعبان : وأي قصاص سوف تفرضه عليه ؟
موسى آغا : لم نصل بعد الى نوع القصاص يا شيخ شعبان .
الشيخ شعبان : خيل اليّ انك قلت انه لن يفلت من القصاص .
موسى آغا : هذا صحيح . ولكن لا بد لنا قبل ايقاع القصاص من اثبات التهمة .
الشيخ شعبان : اثبات التهمة ؟ هل يعني هذا انك لم تقنع بعد بأن بكماز قد أساء معاملتي ؟
موسى آغا : لا . لم أقل شيئا من هذا ! ولكنني قلت ان التهمة التي تنسبها الى بكماز لم تثبت بعد .
الشيخ شعبان : لقد قلت لك انه أساء أدبه معي . ألست تثق بكلمتي ؟
موسى آغا : بلى . أثق بها . أضعها فوق رأسي . ولكن لا بد لي من شهود يشهدون على الحادثة . ألست تريدني أن أحكم بالشرع ؟
الشيخ شعبان : شهود ؟ لقد رآه عشرات من المارة وهو يحاول سرقة المراة المسكينة .
موسى آغا : هذه مسالة أخرى .
الشيخ شعبان : مسالة اخرى ؟
موسى آغا : أجل . انها لم تدفع كراء بيتها ، فاخذ بكماز ما وجد في جيبها .
الشيخ شعبان : ولماذا لم تدفع كراء بيتها ؟
موسى آغا : لانها فقيرة لا تملك شيئا .
الشيخ شعبان : فلمَ لا يقوم بيت المال باعالتها اذن ؟
موسى آغا : أتظن انني أريد أن أصبح محتسبا يوزع مال الدولة

على الناس ؟

الشيخ شعبان : ولكن اذا لم توزعها على الفقراء فعلى من تريد توزيعها؟

موسى آغـــا : على رجالي . على الذين يقبلون على خدمتي دون نقاش. ولكن .. هـــل قلت ان عشرات من المارين قد بصروا ببكماز يعتدي على تلك العجوز ؟

الشيخ شعبان : أجل . ثم رأوه يتطاول عليّ ويشهر سلاحه في وجهي.

موسى آغـــا : اذن فلنستمع لهؤلاء الشهود ، او لشاهدين منهم على الاقل . هل أرسل في استدعائهما ؟

الشيخ شعبان : افعل ما شئت .

(يشير الآغا الى دبوس فيقترب منه)

موسى آغـــا : اذهب يا دبوس الى أهل المدينة فاسألهم ان كان هنالك من يريد أن يشهـد ضـد بكماز ، ثم جئني بشاهدين منهم حالا .

(يخرج دبوس فيما يبتعد بكماز
ويقف مع الجنـــود الآخرين)

موسى آغـــا : قل لي يا شيخ شعبان : لماذا تكثر من انتقـــادنا كلما صعدت منبرا أو جلست في حلقة علم ؟

الشيخ شعبان : انتقادكم أنتم ؟ ولكنني لا أذكر ان اسما مـــن الاسماء قد جرى على لساني قط .

موسى آغـــا : أعلم هذا . أعلم انك لم تأت عـــلى ذكري .. أو ذكر الباشا . ولكنك لا تفتأ تحدث الناس عن الحق .. عن الشرع .. كأنك تريد بهذا أن تشير الى ان هنـــاك أناسا لا يلتزمون بهما .

الشيخ شعبان : ستكون قحة مني أن أقولها ، ولكن لمَ ترغمني يا آغا ؟ ان الانسان البريء لا يخاف عندما يسمع حديث الحق يذكر في حلقة علم .

موسى آغـــا : يسرّني أن تفهم قصدي . ولكن هذا الحق الذي تتحدث عنه يحول بيني وبين القيام بواجبي .

الشيخ شعبان : أنا لا أريد ان أدسّ أنفي في هـــذا الواجب الـذي تدعيه . ولكن دعني أقول لك يا آغا ان الحق موجـود مهما تكن الاستار التي تسدلها عليه صفيقة . فاذا كان هذا الحق يضايقك فاخرج من جيبك خرقة وامسحـه بها . وعند ذلك سيتم لك ما تريد .

موسى آغـــا : لعلك لم تفهم ما قلت يا شيخ شعبان . فأنا لا أريـد الغاء القوانين بل أريد أن أخضعهـــا لارادتي .. ان أزوّرها .. أن أجعلها سيفا أرهب به أعدائي وأنفع به أنصاري .

الشيخ شعبان : أي تريد أن تحتمي بالقوانين لا أن تنقاد لها .

موسى آغـــا : بل أريد أن أتظاهر بالانقياد لها . هذا أمر لا أستطيع الاستغناء عنه .

الشيخ شعبان : لعبة خطيرة لا أظن أحدا يصدقها .

موسى آغـــا : ماذا يهمني أن يصدقها الناس أو لا يصدقوها . المهم أن يتظاهروا بتصديقها .

الشيخ شعبان : تكذب على الناس ...

موسى آغـــا : ثم أطلب منهم أن يكذبوا هم أيضا .

الشيخ شعبان : وهكذا تأخـــذ الاكذوبة المرعبـــة طريقها لتصبح غاية في ذاتها .

موسى آغـــا : وعندما تصبح الاكذوبة غاية في ذاتها تصبح حقيقـــة أو شيئا يشبه الحقيقة .

الشيخ شعبان : ولكن هل يمكن للاكذوبة أن تصبح حقيقة ؟

موسى آغـــا : أجل . عندما يخاف الناس أن يعتقدوا غيرها .

الشيخ شعبان : وبهذا تصبح القوانين ألفاظا لا فائدة منها .

موسى آغـــا : فائدتها في أنها تلهي الناس عن البحث عن الحـــق الصحيح .

الشيخ شعبان : ولكن ماذا تفعل بي ؟ ماذا تفعل بأمثالي الذين لا يلهيهم شيء عن البحث عن الحق الصحيح ؟

موسى آغـــا : نسكتهم ، أو ننفيهم ، أو نجد لهم نهاية تليق بهم .

الشيخ شعبان : قل لي يا آغا : بماذا تتهمني ؟

موسى آغـــا : أتهمك بأنك تضع الشرع فوق مصلحة الدولة .. انك تزعم ان لك الحق في أن تقـــول رأيك دون مواربة . أتهمك بأنك تعتقد بأن الله يريد ان يخلق فردوسا من هذه الارض .

الشيخ شعبان : من المؤكد انه لم يرد لها أن تكون جحيما .

موسى آغـــا : كلا . ولكن من العبث ان نرغم الناس على ما لا يريدون.

الشيخ شعبان : الناس يريدون الامن .. يريدون الطمأنينة .. يريدون السعادة ..

موسى آغـــا : بل أنت الذي يريدها لهم . انك ما تفتأ تحدثهم عنها حتى تجعلهم يحلمون بأرض لا ظلم فيها .. لا عبوديـة فيها .. لا خوف فيها . ولكن ما يكادون يقتربون مـن الحقيقة حتى تبدو لهم شناعتها مريرة موجعة فيفرفوا في يأس لا خلاص منه . ألست ترى انك لا تحسن اليهم حين تندفع بهم الى ذلك الامل الكاذب ؟

الشيخ شعبان : ولكن الارض التي لا ظلم فيها .. لا عبوديـة فيها .. لا خوف فيها .. ليست أملا كاذبا . قد تكون الطريق اليها وعرة منهكة .. ولكن دع النـــاس يختارونها أو يصدفون عنها كما يشاؤون ، ولكنهم سيكونون عند ذاك مسؤولين عن الطريق التي اختاروها .

موسى آغـــا : ولكن من قال لك ان الناس يريدون هذه الحرية التي تتحدث عنها ؟ من قال لك انهم يريدون دولة لا أسوار فيها .. لا قيود فيها ؟ انك تحلم يا شيخ شعبان . ان الناس يجدون الطمأنينة في هـــذه القيود التي نصنعها لهم . في هذه الاسوار التي نحيطهم بهـا . انهم يخافون أن يخرجوا منها ، لان الاشياء المجهولـة التي تنتظرهم وراءها تثير فيهم خوفا .. تبعث فيهم قلقا . انهم يشفقون من ذلك الاختيار الذي تضطرهم اليه .. من تلك المسؤولية التي تريدهم ان يحملوها . أما في داخل تلك الاسوار التي نرفعها فانهم مطمئنون الى ان هنالك من يعمل لاجلهم.. من يفكر من أجلهم.. من يرسم الطريق من أجلهم ..

الشيخ شعبان : قل لي يا آغا . لماذا لا تريد أن تعترف ؟

موسى آغـــا : أعترف بماذا ؟

الشيخ شعبان : بأنك لم تخلق مثلنا من لحم ودم .

موسى آغـــا : لماذا ؟ هل تحسبني خلقت من صخر ؟

الشيخ شعبان : لا أدري . ربما انني لم أر قبلك انسانا يكره الانسان مثل هذا الكره .

موسى آغـــا : اسمح لي يا شيخ شعبان . فانا لست واثقـــا بانك سوف تفهمني . ان احتقـاري للناس ليس كرهـــا . فانا لم أكره أحدا قط .

الشيخ شعبان : ولكنك لم تحب أحدا ..

موسى آغـــا : هذا ترف لا أستطيع أن أجد له مكانا في حياتي .

الشيخ شعبان : أهذا تكره ان تسمعني أتحدث عن المحبة .. عـــن الاخاء .. عن العدل ؟

موسى آغـــا : كلا . ان الحديث لا يزعجني ، ولكنني أجـــد فيـه افسادا لعملي . اننا نريد حقدا يقتل الالفة ، ولؤما يطرد الرحمة ، وخوفا يردع الناس عن التفكير فـــي العمل ضدنا . ان أمثالك من الناس يجعلوننا نخجل مما نفعل ... يجعلوننا نقف أمام مرآتنا فلا نكاد نرى غير عورات نحاول أن نتستر عليها .

الشيخ شعبان : وماذا تنوي أن تصنع بأمثالي ؟

موسى آغـــا : لا أدري تماما . قد نجد طريقة لابعادكـم عن البلد . انكم تكسبون الناس بالاخلاق التي تظهرونها، بالفضائل التي تعلمونها ، بالعدالة التي تمنون الناس بهـــا . فماذا تريدون منا أن نفعل ؟ أن ندعكم تهدمون سلطاننا دون ان نحرك ساكنا ؟

الشيخ شعبان : سيكون من الحمـــق أن تدعنا نخرج من تحت عينيك لنبذر في مكان آخر هذه البذور التي تكرهها .

موسى آغـــا : قد أخطىء ذات يوم فافعلها . ألا تخطئون أنتم أيضا ؟

الشيخ شعبان : بلى . اننا نخطىء . ولكن القيم التي نؤمن بها تردنـا دوما الى الصواب .

موسى آغـــا : أتعرف ماذا يضايقني منك يا شيخ شعبان ؟

الشيخ شعبان : أنك لم تستطع اقناعي .

موسى آغـــا : بل ان ما قلته لي سوف يضطرني الى ...

(يتوقف عن الكلام)

الشيخ شعبان : سوف يضطرك الى قتلي . قلها يا آغا .

موسى آغـــا : كلا . كلا . لم أقصد ...

الشيخ شعبان : ألهذا أرسلت زمتك بكماز لايذائي ؟

موسى آغـــا : كلا .

الشيخ شعبان : لعلها كانت اذن مصادفة لم تردها ولكنك لم تستأ منها.

(تسمع ضجة رجال قادمين)

موسى آغـــا : سنرى الآن ماذا حـــدث يا شيخ شعبان . سنرى ماذا حدث .

(يدخل دبوس ومعـه أحمد البديري والرجال الآخرون الذين يتقدمون من الشيخ شعبان ويسلمـــون عليـه)

موسى آغـــا : ماذا ترى ؟ قلت لك : شاهدان فقط .

دبـــوس : رأيتهم قادمين اليك يا سيدي فجئت بهم جميعا .

رجـــل : يا موسى آغا . ان ما حـــدث للشيخ شعبـــان أمر لا نستطيع السكوت عنه .

موسى آغـــا : ولكن ماذا حدث للشيخ شعبان ؟

رجـــل : قيل لنا ان بكماز قد سحب عليه السلاح .

موسى آغـــا : بكماز يسحب السلاح على الشيخ شعبان ؟ سنرى ان كان هذا صحيحا . (يحدق الى الرجال ثم يشير الى أحدهم) تعال أيها الرجل . اقترب . أظن انني لمحتك قبل الآن .

الرجـــل : (مرتبكا) لعل الآغا يذكر انه اشترى مني ...

موسى آغـــا : أجل . أجل . ان لك دكانا في سوق ساروجا . الآن تذكرت . لقد بعتني بساطا .. ولكنـــه كان بساطا مهترئا .

الرجـــل : سيدي .

موسى آغـــا : ماذا يهم ؟ قل لي أيها الرجل : هل رأيت بكماز يسحب السلاح على الشيخ شعبان ؟

الرجـــل : يعني .. يعني ..

موسى آغـــا : ماذا تعني ؟ قل .

الرجـــل : يعني انني سمعت . انني رأيت .. بل سمعت انه فعل هـــذا ..

موسى آغـــا : ولكنك لم تره بأم عينيك . أليس كذلك ؟

الرجـــل : يعني ...

موسى آغـــا : أنطق أيها الرجل . هل رأيت بكماز يسحب الســـلاح على الشيخ شعبان ؟ أجب . نعم أم لا ؟

الرجـــل : لا يا آغا ..

موسى آغـــا : ابتعد اذن . هل هنالك من يريد أن يشهد أيضا ؟

(صمت كامل)

موسى آغـــا : قلت لكم : هل هنالك من يريد أن يشهد ايضـــا ؟ انطقوا .

أحمد البديري : يا لها من مهزلة !

موسى آغـــا : ماذا ؟ ماذا قلت ؟

أحمد البديري : قلت يا لها من مهزلة ! هل تظن أنك تستطيع الحصول على شهادة صادقة من هؤلاء ؟

موسى آغـــا : وماذا يمنع من ذلك ؟ ألم يقل الشيخ شعبان انعشرات من المارين قد شهدوا ما حدث ؟

أحمد البديري : الخوف يا آغا . الخوف . ألست ترى الـــى حلو قد نشف ريقها حتى كان الكلمات قد جمدت فيهـــا فلم تعد تخرج أبدا ؟

موسى آغـــا : (يقترب من البديري ويدور حـــوله) عظيم . أنت تتهمني اذن باساءة الخوف بين الناس . أهـــــذا ما قصدت اليه ؟

أحمد البديري : أردت أن أقول ان محاولتك الحصول على الحقيقة من فم هؤلاء أمر لا يقنع أحدا .

موسى آغـــا : لانهم يخافون مني . أليس كذلك ؟

أحمد البديري : لانهم يخافون من كل شيء . لقد جعـل منهم عساكرك نماذجا لا تكاد تفكر الا في النجاة بجلودها .

موسى آغـــا : قل لي أيها الفيلسوف . انك تتكلم اكثر مما ينبغي . هل أنت من سكان دمشق ؟

أحمد البديري : نعم .

موسى آغـــا : ولكنني لم أرك من قبل .

أحمد البديري : لان لنا طريقين مختلفين لا يمكن ان يلتقيا أبدا .

موسى آغـــا : وماذا تعمل في الحياة ؟

أحمد البديري : أعمل حلاقا على كتف قهوة المناخلية .

موسى آغـــا : حلاق حقير يدس أنفه في شؤون السياسة . هـــذا شيء لم أسمع به من قبل .

أحمد البديري : ولماذا لا أدس أنفي في شؤون السياسة ؟ هل السياسة ألغاز لا أستطيع فهمها ، أم انها ادارة أمور النـــاس وخدمة مصالحها ؟

موسى آغـــا : عظيم . يريد ان يعلمنا ما هي السياسة .

أحمد البديري : كلا . أنا لا أريد أن أعلم أحدا . بل لعلني لا أريـــد ان اتحدث في السياسة على الاطلاق . فانا قانـــع بعيشي . قانع بالرزق الذي يدره علي عملي . قانع بالدروس التي أحضرها عند مشايخي . ولكنني أريـــد ان تتركونا نطمئن على حياتنا .. نطمئن على كرامتنا.. ماذا يعني أن نسمع كل يوم مناديا ينادي بأمرنا ان نفعل كذا أو نمتنع عن فعل كذا ؟ ماذا يعني ان نساق كالبهائم لاستقبال هذا الضيف من ضيوفكم أو ذاك ؟ ماذا يعني أن يستفحل الغلاء في البلد فلا تكادون تصنعون شيئا؟ ماذا يعني أن تكم أفـــواهنا ، وتداس حقوقنا ، ويستولى على اموالنا دون رادع من قانون او شرع ؟

هل تعد هذا تدخلا مني في شؤون السياسة ؟ انـــي اعترف لك انني لا أفهم سياستكم .. بل أعترف لك انني لا أريد أن أفهمها لانها تثير قرفي . لانني أحتقرها. أبصق عليها .. أشيح وجهي عنها كانها جثـــة يفوح النتن منها .

موسى آغـــا : هذا تطاول لا أقبله أبدا .
جنـــدي : هذه قلة أدب .
جنـــدي : اعتداء على النظام .
جنـــدي : خيانة .
جنـــدي : امسكوه . امسكوه ..
جنـــدي : أنظر اليه يحاول أن يفلت منا .
جنـــدي : ان يستطيع شيء في الدنيا أن يجعله يفلت منا .
احمد البديري : لا تمد يدك الي . سأعرف كيف أقطعها ذات يوم .

(في أثناء هذا العراك الذي يجري بين الجنود والبديري يسقط من جيب هذا الاوراق التـــي كان يكتب فيها) .

جنـــدي : أنظروا ماذا سقط منه . أوراق .
جنـــدي : دفاتر .
جنـــدي : (وهو يناولها الى أحد الرجال) اقرأها .
الرجـــل : أنا لا أحسن القراءة .
الجنـــدي : (الى رجل آخر) اقرأها أنت اذن .
الرجـــل : لا أستطيع القراءة أنا أيضا .
موسى آغـــا : هاتوا هذه الاوراق . هاتوها .

(يأخذها موسى آغا ويشرع في تقليبها . بعد لحظة)

موسى آغـــا : ما هـــذا أيها المصعلوك ؟ تدون ما يحدث في دمشق يوما بيوم ؟
أحمد البديري : نعم . أدونه . أتركه للاجيال القادمة لتستفيد منه .
موسى آغـــا : تتركه للاجيال القادمة ، كأن الاجيال القادمة لن يكون لديها قناطير من مثل هذه الاحداث تقلق بالها .
أحمد البديري : أعلم أن البشرية لن تصلح حالها بين ليلة وأخرى ولكنني أثق بأنها بالغة غاياتها ذات يوم .
موسى آغـــا : اسمع آي . أنا لا أصدق أن في مقدور أحد أن يصلح ما في هذه الدنيا من خلل . ولكن ماذا يهم ؟ فأنا لن أعيش حتى أرى الارض يحكمها أمثالك من المجانين .
احمد البديري : لولا أمثالي من المجانين لما وجد على الارض من يحلم بحال أفضل من هذه الحال .
موسى آغـــا : أنت تهذي أيها الاحمق . فلن يكون هنـــاك حال افضل من هذه الحال .
أحمد البديري : ولكن لا بد من هذا . لا بد من هذا . والا فما فـــائدة بقائنا على هذه الارض ؟
موسى آغـــا : لا تسألني . لعـــل فائدته انها ستتيح لك أن تندم على ما فعلت .
أحمد البديري : تعني انك لا تعتقد ان على الانسان أن يحلم بغد أفضل؟
موسى آغـــا : كلا .
أحمد البديري : دعني أقول لك شيئا .
موسى آغـــا : صدقني . ان ما سوف تقوله لن يقنع أحدا .
أحمد البديري : دعني أقامر اذن . فلعـــل ذلك الغـــد أن يكون أقرب مما تظن .
موسى آغـــا : كل الخطأ يبدأ من هنا . اني لا أفهم لماذا يخال بعض الناس ان تغيير العالم فكرة نادرة لم تخطر الا لهم .
أحمد البديري : ولكن الى متى تريد لهذه المدينة أن تظل على جوعهـــا الى الامن .. الى العدل .. الى الحرية ؟
موسى آغـــا : ومن أين لي أن أعلم ؟ ان النجوم ما تزال ترفض أن تكشف لي أسرارها .
أحمد البديري : ولكن أليس من حقنا أن نسأل متى ؟
موسى آغـــا : بلى . يمكنك أن تسأل . يمكنك أن تستعمـــل لسانك كما تشاء ، الا أن تدعه يثرثر حول ما نفعل في هذه المـــدينة .
أحمد البديري : أجل يستطيـــع اللسان أن يثرثر كما يشاء ، الا أن يتناول الآغا بسوء .
موسى آغـــا : ما دمت تعرف هذا فلماذا ارتكبت حماقتك هذي ؟
أحمد البديري : أي حماقة تعني ؟
موسى آغـــا : هذه الاوراق التي أسقطتها دون أن تدري .
أحمد البديري : آه ! هذه الاوراق ! نعم . انها حماقة ولكنها حماقـــة أملأ بها فراغ أوقاتي . ثم ...
موسى آغـــا : ثم ماذا ؟
أحمد البديري : ثم أجهد في أن أجد نفسي فيها .
موسى آغـــا : بل أن تضيعها . ان ما أودعت أوراقك تلك خطير .. خطير جدا .
أحمد البديري : ليس في هذه الاوراق غير أحداث شهـــدتها أو سمعت بها . فأنا لم أختلق شيئا من عندي .
موسى آغـــا : أعلم هذا . ولكن هنالك أشياء لا ينبغي ان يتحدث عنها الناس العاديون .
أحمد البديري : ولماذا لا يتحدث عنها الناس العاديون ؟
موسى آغـــا : لانها تسيء الى هيبة الحكم . لانها تسيء الى الباشا.
أحمد البديري : ولماذا تتركونها تحدث اذن ما دامت تسيء الى هيبـــة الحكم ؟
موسى آغـــا : ألم أقل لك انك غبي . ان للسياسة معايير لا تعرفها.
أحمد البديري : ولا أريد أن أعرفها .
موسى آغـــا : ولكن هذه الاوراق ...
أحمد البديري : ما بها ؟
موسى آغـــا : ستوقع بك في داهية ..
أحمد البديري : قل ما تشاء عنها يا آغا .. ولكن لا تقـــل انني جئت بأخبارها من عندي .
دبـــوس : قل لنا يا آغا : ما الذي كتب فيها ؟
موسى آغـــا : خذوا . أنظروا .

(يأخذ الجنود الاوراق ويتداولونها)

جنـــدي : ما هذا ؟
جنـــدي : يا للعار !
جنـــدي : يشتم الدولة .
جنـــدي : يسب الباشا .
جنـــدي : ينعت الآغا بأبشع النعوت .
جنـــدي : يذيع أسرارنا .
جنـــدي : لعله جاسوس .
جنـــدي : لا شك في انه جاسوس .
جنـــدي : يكتب عن الغلاء .
جنـــدي : يشكو من فقدان الامن .
جنـــدي : يكتب عن القتال بين الانكشارية والدالاتية .
جنـــدي : هذا جرم لا يغتفر .
جنـــدي : يفضحنا .
جنـــدي : يفضح أسرارنا لاعدائنا .
جنـــدي : يجعلنا هزأة في عيون الناس .
جنـــدي : ينبغي أن نضع له حدا .

جنـــدي : ماذا نفعل به ؟
جنـــدي : نقتله .
جنـــدي : نعم . لا بد من قتله .
جنـــدي : هل نشنقه ؟
جنـــدي : كلا . بل نحرقه .
جنـــدي : بل نقتله خنقا بالماء .
جنـــدي : ولماذا نقتـله خنقا بالماء ؟
جنـــدي : حتى لا يعلم انسان ما أين دفناه ..
(يضحكون)
أحمد البديري : لم أكن أعلم ان الضمائر يمكـــن أن تموت كما تموت الفئران التي ندوسها بأقدامنا . اني أرى الآن انكم لستم بشرا . ان هذه الوجوه التي تقابلوننا بهـــا ليست الا أقنعة لا تخفي وراءها غير ذئاب نبحث عن فرائس تلتهمها .
موسى آغـــا : اخرس أيها الحلاق النذل . تعـــال يا دبوس . أخرج بهذا الحلاق الى الطريق واشنقه .
دبـــوس : (مشيرا الى الشيخ شعبان) وماذا أفعل بهذا الشيخ الثرثار ؟
موسى آغـــا : خذه الى ظاهر المدينة واجلده خمسين جلدة وقل لـه ألا يعود الى المدينة أبدا .
(يهم دبوس بالخروج بالرجلين عندما يندفـع أحد الجنود ويقترب من موسى آغا)
الجنـــدي : سيدي . كأني بالبريد قد وصـل من الباب العالي . لقد رأيت الناس يحتشدون أمام دار الحكومـــة ثم يتفرقون جماعات جماعات وهم يتهامسون حذرين .. قلقين . أغلب ظني ان البريد يحمل نبأ خطيرا .
موسى آغـــا : أي نبأ تعني ؟
الجنـــدي : لا أدري يا سيدي ، ولكنني أسمع صوت المنادي يعلنه للنـــاس .
صوت المنادي : يا أهل الشام .
يا أهل الشام .
جاء الفرمان من الباب العالي .
الوالي أسعد باشا قد عزل .
أصـــوات : ماذا ؟ عزل الباشا ؟
صوت المنادي : يا أهل الشام .
يا أهل الشام .
السامع منكم يخبر من لم يسمع .
والحاضر يخبر من غاب
جاء الفرمان من الباب العالي .
الوالي أسعد باشا قد عزل .
الوالي أسعد باشا قد عزل .
(يبتعد صوت المنادي)
موسى آغـــا : تعال يا دبوس(مشيرا الىالبديريوالشيخ شعبان) : اترك هذين الاحمقين وشأنهما .
(يتركهما فيخرجان تتبعهما بقية الرجال)
موسى آغـــا : دبوس . أخرج الى أحياء المدينة في الحال فاطلب الى أهلها تزيينها بالطنافس والقناديـل ، ثم اطرق أبواب الاغوات والاعيـــان فخبرهم الخبر واطلب اليهم ان يتأهبوا لاستقبال الباشا الجديد ..
(يتوقف فيما يهم دبوس بالخروج)
موسى آغـــا : ثم لا تنس أن تمر على الافران فتأمرها ان تفتح ابوابها، فقد يظن الباشا ان في المدينة مجاعة .
دبـــوس : هل أذهب ؟
موسى آغـــا : بل طر طيرانا .
(يخرج دبوس مسرعا)
موسى آغـــا : وأنت يا بكماز ..
بكمـــاز : ماذا تريد يا سيدي ؟
موسى آغـــا : اذهب الى الحبوس فاخرج من فيها ، ثم قل لهم أن يعلنوا أمام النـــاس أن معاملتهم قد أحسنت ، وان قضاياهم قد نظر فيها بالعدل . ثم اطلب من الباعـة أن يخفضوا أسعار أصنافهم بمقدار الثلث ، وكل من يضبط يبيع بضاعته بأكثر من هذا سوف يجر الـى الموت جرا .
بكمـــاز : أمرك يا سيدي .
موسى آغـــا : ألم تذهب بعد ؟
بكمـــاز : سأطير طيرانا أنا أيضا .
(يخرج بكماز مع بقية الجند)
موسى آغـــا : والآن الي أيها الباشا . ستأتي المدينة فتجدها هادئة كقدح حليب فاتر . ستجـــد ان أمورك لا اضطراب فيها ... لا تنازع فيها . سنحاول أن نمنع عن أذنيك ضجيج الثرثارين والنائمين والحمقى . سنمنع عـن عينيك رؤية القـــذارة والبؤس والآلام . سنكون لك العين التي تبصر بها ، والاذن التي تسمع بها ، واليد التي تضرب بها ، والاسوار التي تحتمي وراءهـا . ولكن ثق يا سيدي انك لن تستطيع أن تكون شيئـــا ان لم تسلم أمرك كله لنا .

٤ ــ في الطريق

(طريق خارج سرايا موسى آغا ، يرى في جانب منه أحمد البديري وقد تجمعت حوله طائفة من الرجال)
رجـــل : الحمد لله على السلامة يا شيخ أحمد .
أحمد البديري : سلمك الله يا أخي .
رجـــل : كدت تهلك على يد موسى آغا لولا ان الله أرسل ذلك المنادي ليشغـله عما كان ينوي .
أحمد البديري : لله حكمة لا نعلمها .
رجـــل : قل لنا يا شيخ أحمد : هل تعرف شيئا عن البـاشا الجديد ؟ اني أرى القناديل قد أوقدت والدكاكين قد فتحت أبوابها .
رجـــل : لعل الآغا يريد ان يري الباشا الـــوالي ان كل شيء يسير على ما يرام .
أحمد البديري : علم هذا عند ربي . ولكنني أخـــاف أن يصبح الوالي أسير موسى آغا يسيره على هواه .
رجـــل : كما فعـل بمن قبله .
رجـــل : وكما سيفعل بمن بعده .
رجـــل : الرأي اذن ان نلزم بيوتنا فلا نخرج منها الا عنـد الضرورة .
رجـــل : بل نخرج الى الاسواق لنهتف للباشا .
رجـــل : بل لنصرخ في وجوه المنافقين من الاغوات والاعيان .
رجـــل : سنغلظ لهم القول .
رجـــل : سننالهم بالشتيمة والاهانة .
رجـــل : سنقول لهم انهم يعينون الحكام على أمثالنـــا مـن المساكين .
رجـــل : سنقول لهم انهم يساعدون القوي على الضعيف .
رجـــل : وماذا يفعل بنا عسكر الباشا ؟
رجـــل : ليفعلوا ما يشاؤون .
رجـــل : كلا . أنا أخاف على جلدي .
رجـــل : وأنا أيضا .
رجـــل : ولكن تذكروا ان لنا باشا جديدا . لعله يضع حـدا لهذه الاساءات كلها .
رجـــل : أنت واهم .

رجـــل : لماذا ؟
رجـــل : لا أدري . ولكنني لا أجد في نفسي ثقة بأحد .
رجـــل : من يدري ؟ تعله يقتل موسى آغا أو يبعده عن البلد .
رجـــل : صه . قد يسمعك أحد جواسيسه فينقل اليه ما قلت.
رجـــل : فيجعلك في خبر كان .
رجـــل : يا ناس . ما هذا الخوف ؟ هل أصبحنا فئرانا ؟
رجـــل : افعل بنفسك ما شئت . أما أنا فان لي أولاداً ينتظرون عودتي .
رجـــل : تمهل يا أخي ، فلن ينالك اليوم سوء . ألم تسمع ان موسى آغا قد أطلق جميع من في الحبوس ؟
رجـــل : بلى . ولكن الى متى ؟ قد يرجع غدا فيعيدهم اليها .
رجـــل : ويضعك أنت بينهم .
رجـــل : هذا ما سيقع حتما اذا أنت لم تحبس لسانك عنه .
رجـــل : وأنت يا شيخ أحمد : ما رأيك في هذا كله ؟
أحمد البديري : رأيي ؟ وماذا يفيدكم رأيي ؟
رجـــل : أنت آخ لنا نثق بما يقول .
رجـــل : ونعتقد انه أهل صلاح .
أحمد البديري : رأيي ان الباشا لن يستطيع أن يصلح شيئا .
رجـــل : ولكن ....
أحمد البديري : لا . لا تسألوني لم أقل لكم هذا ولكن اسألوا أنفسكم .
رجـــل : نسأل أنفسنا ؟ ولكن من نكون نحن حتى نحكم على الباشا؟
أحمد البديري : أنا لم أسألكم ان تحكموا على الباشا .
رجـــل : ماذا نفعل اذن ؟
أحمد البديري : أنظروا الى أنفسكم ثم احكمـــوا لها أو عليها . ماذا فعلتم لكي تصبح حياتكم أكثر أمنا وأوفر رخاء ؟ ماذا فعلتم لكي يكون صوتكم مسموعا وارادتكم مرهوبـــة ؟ أتظنون ان هنالك حاكما على وجه الارض يتنازل عـن سلطة يملكها ان لم يرغم على ذلك ارغاما ؟
رجـــل : ولكننا ضعفاء يا شيخ أحمد .
رجـــل : عزل من السلاح .
رجـــل : محرومون من المال .
رجـــل : نرفع أصواتنا فتسد أفواهنا بالتراب .
رجـــل : نحاول أن نفكر لحظة فننتهم بالخيانة والمروق .
رجـــل : نحتج على ظلم نزل بنـــا فتنهب دكاكيننا وتصـــادر أموالنا .
رجـــل : أبمثل هذه المسكنة تريدنا ان نواجه الآغا ؟
أحمد البديري : ولكنكم ألوف مؤلفة والآغا انسان واحـد . أنا أعلم ان له جماعات تخافونها وسجـــونا تفرقون منها ! ولكنكم لم تخلقوا نعاجا .. فاذا أردتم أن تعيشوا كما يعيش أمثالكم من الآدميين فحاولوا أن تغيروا ما بانفسكـــم حتى يغير الله ما بكم ..
رجـــل : هذا والله كلام حق .
رجـــل : حق .. ولكن كيف السبيل اليه ؟
رجـــل : فكر أيها الرجل ، فلا بد ان هنالك سبيلا ما ...
(تسمع أصوات الطبـــول والزمور تسبق موكب الآغا الـــذي يمر في طريقه الـــى استقبال الباشا)
رجـــل : أنظروا . انه موسى آغا يخرج لاستقبال الوالي .
رجـــل : مرة أخرى ! ما أشبه الليلة بالبارحة . أتذكر عندمـا خرج لاستقبال الوالي القديم ؟
رجـــل : ولكن .. انظروا الى عمائم العسكر ..
رجـــل : ما بها ؟
رجـــل : ألم يكونوا يلبسونها سوداء في لون الليل ؟
رجـــل : بلى .
رجـــل : فمالها أصبحت الآن بيضاء ؟
رجـــل : أي والله .. انها بيضاء ..
رجـــل : والثياب أيضا .. كانت لها أزرار من صدف لماع تزينها.
رجـــل : أما الآن فقد صارت من ذهب براق .
رجـــل : والسراويل ..
رجـــل : صارت أطول عند الساقين .
رجـــل : والسيوف ..
رجـــل : أراها مشدودة الى الخصر الايمن بدل الايسر .
رجـــل : ماذا يعني هذا كله ؟
رجـــل : لا أدري . لعله خير .
رجـــل : خير ان شاء الله .
(يختفي موكب الآغا في حين تخرج خلفـه جماعة الرجال)
أحمد البديري : كلا . لعل الامر ليس سوى بريق لا يدوم سوى دقائق.
اني لارسل ناظري فأرى الثياب تغيرت .
وأرى العمائم بدلت .
وأرى السيوف كأنها هجرت مواضعها لتأخذ غيرها .
وأرى السراويل استطالت بعدما كانت قصيرة .
لكنني أتساءل ...
ما نفع هذا كله ؟
ماذا وراء الثوب والحكم التي نقشت عليه ؟
هل تستطيع عمائم بيضاء ما لم تستطعه عمائم سود غبية؟
أن تجعل الافواه تصرخ ما تريد بغير خوف .
أن تجعل الاسياف أسوارا تجاهد غازيا وتصون حقا .
أن تجعل القانون يصبح قوة ويصير شرعا .
ماذا وراء الثوب ؟ اني أسأل ..
ماذا تغير في نفوس عساكر الباشا ؟
ماذا تغير في سرائرها التي لم تبدها ؟
هل أصبحت تزن الامور بعقلها .. بضميرها ؟
هل أفلتت من ليلها الموبوء فاغتسلت وضاءت ..
أم انها مثل السراويل القصيرة أسدلت فغدت طويلة ؟
اني لاسأل مرة في اثر مرة ..
ماذا تغير ؟
(يدخل المنادي)
المنـــادي : يا أهل الشام .
يا أهل الشام .
السامع يخبر من لم يسمع .
والحاضر يخبر من غاب .
أمر الباشا أن تغلق أبواب البلدة .
لا تفتح الا بعد صلاة الفجر .
أمر الباشا أن يلزم كل الناس منازلهم .
لا يخرج انسان هذي الليلة .
فسيجري التفتيش عن الذهب ...
يا أهل الشام .
من كان لديه سوار من ذهب ..
أو طوق أو قرط ..
أو حتى مثقال لا غير ..
فليأت بها الى دار الباشا ..
فالباشا قد أمر الاسواق بالا تفتح هذي الليلة ..
والموت لمن يعصي أمر الباشا ..
يا أهل الشام .
يا أهل الشام .
السامع منكم يخبر من لم يسمع .
والحاضر يخبر من غاب ..
يا أهل الشام ..

دمشق

عمر النص